

المحاضرة الخامسة

قيمة الفلسفة:

إن التشكيك في قيمة الفلسفة والتساؤل عن أهميتها ليس ظاهرة مستحدثة أفرزها التقدم العلمي في العصور المتأخرة كما يعتقد البعض، ولكن الأمر قديم قدم التفكير الفلسفي ذاته، فقد إنبرى أرسطو منذ الأزمنة الإغريقية للدفاع عن الفلسفة في وجه منتقديها، في هذا السياق نصادف موقفان تقليديان متناقضان من الفلسفة هما كالتالي:

الموقف الأول والذي يمثله المؤيدون أو المدافعون عن الفلسفة إذ يرون فيها أنها توظف العقل من سباته وتدفعه إلى التساؤل البحث التفكير النظر التدبر كما أنها أي الفلسفة تنظم عقل الإنسان وتربط تفكيره يقول ديكارت أن الفلسفة وحدها هي التي تميزنا عن الأقوام المتوحشين وإنما تقاس حضارة الأمم بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها".

إن الفلسفة وسيلة لوعي الإنسان بذاته وسبيل لمواجهة نفسه وفي هذا يقول ياسبير: **"التفكير الفلسفي يضع الإنسان وجها لوجه أمام ذاته"**، كما أن الفلسفة تقوي ملكة النقد والتمحيص والموازنة وتتأى بنفسها عن التقليد دون برهان أو دليل كما أنها تزود العقل بالقدرة على إثارة التساؤلات التي تفتح المجال لتواصل إلى المعارف والأفكار الجديدة، وعلى العموم فإن الفلسفة تمكننا من التعرف على الأهداف البعيدة التي تجاهد البشرية من أجل تحقيقها وتحفزنا على أن نساهم في تحقيقها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

أما بالنسبة **للموقف الثاني** فهو الموقف المعادي للفلسفة وأطروحاتها وهذا من منطلق المقارنة بينها وبين العلم التي يحقق فيها العلم تقدم مطردا ويفضي إلى تطبيقات ذات نفع بالغ لم تخرج الفلسفة أي تقدم يذكر وليس لها تطبيقات عملية يقول بيرتراند راسل: **"إن العلم النظري هو محاولة فهم العالم اما العلم العملي فهو محاولة تغيير العالم"**، فالعلم استطاع في فترة وجيزة أن يخلص ويحرر الإنسان من العديد من الحتميات في مقدماتها الحتمية الطبيعية، والبيولوجية وغيرهما.

وعلى هذا الأساس، ومقارنة بين نتائج العلم والفلسفة، نكتشف أن هذه الأخيرة لم تحقق أي شيء ، وهذا ما يتطابق مع وجهة نظر كانط، فالفلاسفة منذ القديم وهم يتفلسفون حول مختلف القضايا ولكنهم لم يستطيعوا حتى أن يحسموا لنا ولو قضية واحدة كمسألة خلود الروح من عدمها، وزيادة على ذلك فمنهج الفلسفة النظري هو من يقرر أحكاما على الأشياء، أي تحديد حقائقها، وهو ما يجعلها صناعة نظرية خالصة لا جدوى منها غايتها التحليل من أجل التحليل، فالفيلسوف لا يبرح عالم التأملات المجردة وصوغ التصورات والأطروحات النظرية إنه إنسان حالم وهائم يخلق في السماء لا يكثر كثيرا بمعرفة الكيفية التي يمكن أن يؤثر بها في الواقع الذي يؤمل في تغييره، من هنا كانت الطريقة المجدية للوصول إلى الحقائق هي الإستعانة بالتجربة العملية، فالعلم يجمع الوقائع يصنفها، ويحللها وهو ما يجعله يحتل مكانة الصدارة بين أنشطة الفكر البشري دون منازع، وزيادة على ما سبق فالفلسفة تتميز بكثرة واختلاف آراء الفلاسفة وتناقض مواقفهم ومذاهبهم وتعارض أفكارهم إذ إن ذلك يسد الطريق أمام المطلع على هذه المذاهب ومحاولته فهمها.

في الأخير يمكن القول أن الفلسفة غالبا ما تتعارض والدين إذ أن قاعدة كل منهما مختلفة عن الآخر، فموقف الفلسفة نقدي _ شكّي وتمحيصي، أما بالنسبة للدين فإنه مبني على ضرورة التسليم المطلق بالعقائد وما جاءت به الكتب السماوية دون مناقشة وبرهان وشتان بين الموقفين.

ومهما قيل عن أهمية وقيمة الفكر الفلسفي فإننا نقول أن هذا الأخير يبقى نشاطا بشريا معترفا به له مجاله وتخصصه، وتساؤلاته، وإشكالاته الخاصة التي يحاول الإجابة عليها بمناهجه والتي يراها مناسبة، ولا أدل على ذلك من محاولة إعادة بلورة الفكر الفلسفي كل مرة خاصة في المرحلة المعاصرة أين تم رفض المفهوم التقليدي في الفلسفة والذي يختزلها في البحث بالنظر، وكذا الاتجاه بها نحو التطبيقات العملية، والحياتية محاولة فهم الانسان والعالم.